**كلمة البروفسور سليم دكّاش اليسوعيّ، رئيس جامعة القدّيس يوسف، في الجلسة الإفتتاحيّة للمؤتمر الدوليّ : أسرار التنشئة المسيحيّة في القرون الوسطى وبداية العهد البيزنطيّ – لقاء علم الآثار والعلم الآبائي (الباترولوجيا) (٢٧-٢٩ تشرين الثاني (نوفمبر) ٢٠١٤) الذي نظّمه المعهد الفرنسي للشرق الأدنى IFPO ومركز البحوث والمنشورات حول الشرق المسيحيّ CERPOC في جامعة القدّيس يوسف**

١. أشاطركم هذا المساء الفرح العامر بمناسبة افتتاح مؤتمر حول أسرار التنشئة المسيحيّة في الشرق الأوسط في القرون الوسطى وبداية العهد البيزنطيّ خاصّة أنّ جامعتنا، جامعة القدّيس يوسف، تحتفل بمرور ١٤٠ سنة على تأسيسها وأنّ العديد من بين اليسوعيّين والأساتذة فيها كانوا ملتزمين في مجال الأبحاث الخاصّة بعلم الآثار عدا المجال الفنّي والروحانيّة الشرقيّة. إنّ إعادة اكتشاف بيوت المعموديّة في كنائس العصور الوسطى تُحيلنا إلى فعلٍ كنسيّ هو المعموديّة، وهو عمل في غاية الأهميّة والجديّة لأنّه يتعلّق بمستقبل الشخص. فمن يتكلّم عن المعموديّة يعني بالتحديد إلتزام الشخص وانخراطه بشخص يسوع المسيح الذي يلبس كيان الشخص كلّه بكلّ ما ينطوي عليه هذا الإنخراط من نتائج، من حيث الإيمان والوجود المسيحيّ في الشرق الأوسط ووعي دور هؤلاء المسيحيّين في وضعٍ معيّن وواقعٍ إشكاليّ معيّن.

٢. إنّ موضوع هذا المؤتمر فيه مفارقة، على الأقلّ كما يبدو. الحديث عن علم الآثار ولاهوت آباء الكنيسة يبدو في غير محلّه إلى حدٍّ ما في بقعةٍ من بقاع العالم حيث وجود المسيحيّين نفسه مُهدّد. ومع ذلك، باسم هذا التاريخ وهذا الوجود الألفيّ الثاني أو حتّى الأساسيّ، يتمتّع الوجود المسيحيّ في الشرق الأوسط بالأمل لا بل ب"العناد" من أجل الاستمرار. أقول كلمة عناد، لكنّ بيوت المعموديّة في العهود القديمة للكنائس المهجورة التي نتطرّق إليها قائمة على عنادٍ نسبيّ. إنّ رسالة مركز البحوث والمنشورات حول الشرق المسيحيّ CERPOC تكمن في جعل هذا العناد المتجذّر في القِدَم مرئيًّا وهو مرئيّ في بقايا آثار تاريخيّة كنسيّة. المسيحيّون يعون أنّهم في تقليد حيّ بدأ في الشرق بحدث التجسّد الذي لا يزال يعبّر عن نفسه وتحياه الكنيسة وأحداثها الرئيسيّة بما في ذلك الاحتفال بالأسرار الذي يشكّل العنصر الأساسي والمستمرّ عبر القرون.

٣. إنّ السرّ الأساسيّ الذي يجعل هذا الخلاص حاضرًا هو بالتأكيد المعموديّة. لكي نتكلّم بمصطلحاتٍ شرقيّة، إنّه الحدث حيث كلّ شيء يبدأ، وحيث يصبح رابط الحياة مع المخلّص رابطًا لا رجعة فيه ويتضمّن حياة المسيحيّين كلّها. إذا كنّا نتطرّق في هذا المؤتمر إلى لاهوت آباء الكنيسة وعلم الآثار، فذلك لأنّ الرابط

وثيق بين الحياة والذاكرة الحيّة للكنيسة المبنيّة بالحجارة والفنّ. اللاهوت الآبائي هو بالتأكيد لاهوت الآباء ولكنّه أيضًا جزءٌ من اختصاص، جزءٌ من علمٍ أوسع هو علم آباء الكنيسة (الباترولوجيا) الذي يؤثّر أيضًا على علم الآثار والتاريخ وغيرهما من العلوم. كلّ هذا لأنّ تاريخ الكنيسة والمسيحيّة هو جزء لا يتجزّأ من الثقافة والفنّ والمجتمع ومشاكله، ومن الثروات والتعابير الأدبيّة والفنيّة الفريدة، بما في ذلك تعابير الآباء الذين عرفوا، وهم يؤلّفون أعمالهم، معالم وآثار أصبحت الآن بقايا مُفعَمة بالمعاني والرمزيّة والحياة. اليوم، يُعطينا علم الآثار نتائج تنقيباته في الكنائس والبازيليك التي لا تُعَدّ ولا تُحصى والتي تحتوي على بيوت للمعموديّة على نحو مار سمعان العموديّ، وكاتدرائية بصرى، والقدّيس يوحنّا مرقس من جبيل، ... هذه البقايا الأثريّة الحيّة تساهم في تقريبنا من حياة الكنيسة الأولى الأساسيّة جدًّا، لندرك أنّنا، في الواقع، نستمرّ ونثابر مثابرة دائبة في تواجدنا، ونحن مدعوّون اليوم لنقول كم نحن ملزمون بحفظ وتخليد هذا التراث الثقافيّ لصالح الإنسانيّة.

٤. إن قمنا اليوم بتنظيم مؤتمرٍ كهذا فهذا لأنّنا نعترف بوجود تكاملٍ بين علم الآثار واللاهوت الآبائيّ المسيحيّ. هذان الإختصاصان يخدمان معًا حياة البشريّة بإحياء ذاكرة ضروريّة لهويّة الشعوب وتجذير هذه الشعوب في أرضها...

لهذا السبب، المساهمة بين المعهد الفرنسي للشرق الأدنى وجامعة القدّيس يوسف هي مساهمة معهودة ومألوفة لا بل أصليّة وقد جاءت عفويّة وتمّت بطريقة طبيعيّة. ومركز البحوث والمنشورات حول الشرق المسيحيّ الذي يهدف إلى تسليط الضوء على تراث المسيحيّين عبر العصور وتعزيزه، يتوجّب عليه أن يساهم مع "العلاّمة" المتخصّصين في أنحاء العالم لكي يتجذّر هذا الاهتمام جيّدًا في التاريخ ويقدّم وجهات نظر مستقبليّة.

في حين نُعرِب عن امتناننا لأولئك الذين قاموا بالتنظيم والعمل لتحقيق هذا المؤتمر، ولجميع أصحاب المداخلات الذين جاؤوا من مختلف أنحاء الشرق الأوسط والعالم، أتمنّى لكم مؤتمرًا جيّدًا ومثمرًا وأرحّب بكم في جامعة القدّيس يوسف.